٤) ضمن هذا المد الامبريالي وتوسعه ادرك هرتزل امكانية اقامة دولة يهودية استنادا الى رغبة القوى الاستعمارية وارادتها . فراح يتنقل بين قيصر المانيا والبابا والسلطان العثماني ، وتشمبرلين وزير المستعمرات البريطاني . وراح يكثف نشاطه في اوساط البرجوازية اليهودية الصغيرة مثيرا ومعمقا الاحساس بالاضطهاد لدى اليهود . ثم توجه للبحث عن الجنود الاوائل الذين ينبغي ان يذهبوا الى فلسطين ، فكانت المادة الخام الاولى من فقراء اليهود ومعدميهم . غير انه كان يدرك ضرورة جذب المثقفين اليهود فالبرجوازيين منهم . وكانت الخطوة الحاسمة الاتجاه نحو انشاء شركة جمعية تجتذب رأس المال اليهودي لتمويل مشاريع شراء الاراضي الفلسطينية . وهكذا تدريجيا ابتدأت الفكرة الصهيونية تتلاقى مع اهداف بريطانيا حتى كان وعد بلفور خطوة عملية اخرى على تسليم فلسطين الى الصهاينة .

والذي يميز هذا الكتاب ويشكل محوره الاساسي هو بالفعل اثبات ان الحركة الصهيونية ليست حركة قومية يهودية وانما افراز استعماري برز الى حيز الوجود مع صعود الامبريالية في اواخر القرن التاسع عشر . وتورد المؤلفة المقارنات التالية بين الحركة الصهيونية والحركة القومية الاوروبية :

١) ان الحركة القومية كانت نتيجة طبيعية لتطور النظام الرأسمالي بعد انهيار النظام الاقطاعي حيث كانت تستهدف القضاء على التبعثر القومي وتوحيد امة واحدة موجودة فعلا ولها تاريخ مشترك وثقافة مشتركة ولغة واحدة وتعيش فوق ارض واحدة الا انها مجزأة ... اما الحركة الصهيونية فلم تكن تمتلك أيا من المقومات الاساسية لمفهوم الامة القومية .

٢) ان الحركة القومية الاوروبية كانت تعبيرا عن مصالح الطبقة البرجوازية العليا ... اما الحركة الصهيونية لا تعبر الا عن مطامح وتطلعات فئة محدودة من المثقفين المنحدرين على العموم ، من البرجوازية الصغيرة المهاجرة من اوروبا الشرقية .

٣) ان الدولة القومية الاوروبية كانت امتدادا لوجود قومي مشترك على أرض مشتركة وموجودة فعلا ويقيم عليها ذلك الوجود القومي بصورة فعلية تاريخية بلا انقطاع . اما الدولة اليهودية القومية فانها ليست سوى تطبيق عملي لفكرة الاستعمار الاستيطاني من قبل يهود ينتمون الى جنسيات واوطان مختلفة ، وينحدرون بصورة اساسية من البورجوازية الصغيرة .

٤ ــ ٥ ــ ان الحركة القومية الاوروبية كانت تعتمد بصورة اساسية ومنذ البداية على القوى الوطنية المؤلفة من البرجوازية المحلية والقوى العاملة سواء في تحقيق الوحدة الوطنية او النضال ضد الحكم الاجنبي . اما الحركة الصهيونية فقد ولدت في صالونات حكام بلدان اوروبا الغربية الاستعمارية .

٦ ــ ان الحركة القومية الاوروبية نشأت قبل بلوغ النظام الرأسمالي المرحلة الامبريالية ... [و] كانت في البدء حركة تقدمية ... اما الحركة الصهيونية فقد ولدت في اوج المرحلة الامبريالية التي تستند الى نظريات التفوق العنصري والانتخاب الطبيعي والبقاء للاقوى ... فكانت منذ البدء على اساس استعماري رجعي .

٧ ــ ان القوى والطاقات الفكرية والعلمية والفلسفية والادبية الاوروبية كانت كلها مكرسة لخدمة نمو وتطور الوجود البورجوازي الاوروبي والحركة القومية ... اما بالنسبة للحركة الصهيونية فان المسألة كانت على خلاف ذلك تماما.

واخيرا لا بد من ابداء بعض الملاحظات حول الكتاب :

١ ــ تميز التحليل لنشوء الصهيونية وتطورها بشمولية وعمق وموضوعية غير انه توقف عند بدء قيام الدولة الصهيونية مما يعطي للكتاب طابعا اكاديميا بعض الشيء ، وذلك لعدم ايلائه التطورات اللاحقة التي مرت بها دولة العدو الاهمية التي تستحقها ، خاصة لجهة ارتباطها العضوي بالامبريالية الاميركية . والاهتمام بهذه النقطة اساسي باعتباره يلقي الضوء على الصراع العربي ــ الصهيوني الدائر اليوم ، ويحدد وجهة عمل قادرة على فهم علاقة الامبريالية الاميركية بدولة الصهاينة . فاذا كانت « اسرائيل » قد مثلت المخفر الامامي للامبراطورية البريطانية بشكل خاص والغرب الاستعماري بشكل عام ، فهي تمثل الان الحارس الامين لمصالح الامبريالية الاميركية في